

المحور الثاني: التردّد بين الإعراب و البناء⁽¹⁾

أولا . حقيقة الإعراب والبناء.

1 . حقيقة الإعراب لغة: قال ابن فارس: "العين والراء والياء أصول ثلاثة: أحدها الإبانة والإفصاح، والآخر النشاط وطيب النفس، والثالث فساد في جسم أو عضو، فالأول: أعرب الرجل عن نفسه: إذا بيّن وأوضح"⁽²⁾.

وقال ﷺ: "الثيب تعرب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها"⁽³⁾.

وقال: "إعراب الكلام . أيضا . من هذا القياس، لأنّ بالإعراب يفرّق بين المعاني في الفاعل والمفعول والنفي والتعجب و الاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم"⁽⁴⁾.

وبناء على ما سبق ذكره يتبيّن ويتلخّص أنّ الإعراب مشتق من [عَرَبَ] وكلها بمعنى الإبانة والإفصاح والتغيير.

وإنّما كان الإعراب إبانة وتوضيحا من حيث إنّه يبيّن معنى الكلمة، أهى فاعلة؟ أو مفعولة؟ أو مجرورة؟

2 . حقيقة الإعراب اصطلاحا: ومن تعريفاته:

(1) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة التوبة ويونس وهود ويوسف . : أمجد أبو مطر [2 وما بعدها] ، فقه اللغة . مفهومه . موضوعاته . قضاياها: مُجّد بن إبراهيم الحمد [405 وما بعدها] ، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء . : هديل يوسف المنيراوي [2 وما بعدها] ، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة الأنعام والأعراف والأنفال . : سامي الأسطل [2 وما بعدها] ، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية من سورة العنكبوت إلى سورة غافر . : إيمان مُجّد عامر [5 وما بعدها] ، الإعراب بالنيابة دراسة وصفية تطبيقية في خمسة الأجزاء الأولى من القرآن الكريم: جلال المولى [5 وما بعدها] ، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم: الدكتور أحمد سليمان ياقوت [15 وما بعدها] ، الإعراب في العربية صوتيا ودلاليا بين القديم والحديث [مقاربة لسانية]: الدكتور سمير شريف استيتية [17 وما بعدها] ، أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه: هدى صالح ربيعي [9 وما بعدها] .

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس [300/299/4] .

(3) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب استثمار البكر والثيب، رقم الحديث [1872] .

(4) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس [300/299/4] .

*الإعراب: تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وحزم على ما هو مبين في قواعد النحو⁽⁵⁾.

*وقيل: هو التفريق بين المعاني في الفاعل والمفعول، والنفي والتعجب والاستفهام⁽⁶⁾.

*وقيل: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ⁽⁷⁾.

*وأشمل هذه التعريفات ما ذكره ابن هشام حيث راعى فيه جمع ما تفرّق في كتب تعريفات النحاة، وذكر الإعراب بقسميه المعنوي [التقديري] واللفظي فيقول: "الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجليه العامل في آخر الاسم المتمكّن [المعرب] والفعل المضارع"⁽⁸⁾.

فمما سبق ذكره يتبيّن أنّ هذه التعريفات متقاربة من حيث المعنى، فجميعها يدور حول التغيير الذي يعتري الحرف الأخير في كل كلمة معربة، ومواقع الجمل الإعرابية.

3. حقيقة البناء لغة: تعني اللزوم والثبات.

4. حقيقة البناء اصطلاحاً: ومن تعريفاته:

أ. هو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً، من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل⁽⁹⁾.

وكأنهم إنما سموه بناءً، لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغيّر تغير الإعراب سمي بناءً، من حيث كان البناء لازماً موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر المنقولات كالحخيمة والمظلة.

ب. وقيل هو: لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لفظاً أو تقديراً، وذلك كلزوم [هؤلاء] الكسرة، و[منذ] للضمة، و[أين] للفتحة⁽¹⁰⁾.

(5) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون [591/2].

(6) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس [766/1].

(7) الخصائص: ابن جني [36/1].

(8) شرح شذور الذهب: ابن هشام [33/1].

(9) الخصائص: ابن جني [49].

(10) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام [74].

5 . الأصل في البناء وسببه: والأصل في البناء السكون، وإنما كان ذلك لوجهين:

الوجه الأول: أنه ضد الإعراب، والإعراب يكون بالحركات، فضده يكون بالسكون.

الوجه الثاني: أن الحركة زيدت على المعرب للحاجة إليها، ولا حاجة إلى الحركة في المبني، إذ لا تدل على معنى.

ثانيا . العلاقة بين الإعراب والنحو⁽¹¹⁾: من العلماء من سَوَّى بين اللفظتين، ومنهم من فرَّق، فهم على قولين:

1 . مذهب المسوين بين اللفظتين، حيث قالوا يطلق الإعراب على علم النحو، وهو علم بأصول النحو، يعرف به أحوال أواخر الكلمة، فهما لفظان لمسمّى واحد.

2 . مذهب المفرِّقين بين اللفظتين؛ إذ النحو هو علم بقواعد كلية منطبقة على جزئياتها، منها كل ما اشتمل على علم الفاعلية فهو مرفوع، وكل ما اشتمل على علم المفعولية فهو منصوب.

بينما الإعراب هو التطبيق العام على القواعد النحوية المختلفة.

والذي يظهر راجحا في هذه المسألة هو التفرقة بينهما حيث بينهما عموم وخصوص، فالإعراب جزء من النحو وتطبيق عملي له، بينما النحو هو علم عام مجرد القواعد، فنسبة الإعراب إلى علم النحو كنسبة العلاج إلى علم الطب، ونسبة الإفتاء إلى علم الفقه.

وحتى الذين سَوَّوا بين اللفظتين . فيما يظهر . ليست تسوية كلية وإنما هي من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

وما أجمل قول القائل في مزية علم النحو والنحوي:

أحببت العلم من النحو فقد***** يدرك به المرء أعلى الشرف

إنما النحوي في مجلسه***** كشهاب ثاقب بين السدف

(11) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية من سورة العنكبوت إلى سورة غافر . : إيمان محمد عامر [7/6] .

يخرج القرآن من فيه كأنما*****تخرج الدرّة من بين الصدف.

ثالثاً. علامات الإعراب⁽¹²⁾: وهي ثلاثة أنواع: أصلية وفرعية ومقدّرة.

1. علامات الإعراب الأصلية: وهي أربعة: الضمّة للرفع، والفتحة للنصب، والكسرة للجر [الخفض]، والسكون للجزم.

أ. أسباب علامات الإعراب الحركية: ومنها:

*الإعراب دال على معنى عارض فناسب أن تكون علامته عارضة.

*الحركة أيسر من الحرف وتكفي في الدلالة على الإعراب.

*عدم حدوث لبس، لأنّ الحرف ربما دلّ على أصل في الكلمة.

ب. أسباب كون حركة الإعراب آخر الكلمة: ومنها:

*لأنّ الإعراب إنما جيء به لمعنى عارض وطارئ على الكلمة بعدم تمام معناها.

*لأنّ حركة الإعراب تثبت وصلاً، وتحذف وقفاً، وإمّا يكون هذا في آخر الكلمة.

*أول الكلمة لا يمكن إعرابه، ولا يمكن أن يجعل في وسط الكلمة.

2. علامات الإعراب الفرعية: وهي:

أ. الجرّ بالفتحة في الممنوع من الصرف.

ب. علامة النصب الكسرة فيما جمع بألف وتاء [جمع المؤنث السالم].

ج. علامة الرفع بالواو، والنصب الألف، والجر الياء في الأسماء الستة.

د. علامة الرفع الألف، والنصب والجر الياء في المثنى وملحقاته.

هـ. علامة الرفع الواو والنصب والجر الياء في الجمع المذكر السالم وملحقاته.

(12) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم. دراسة تطبيقية في سورة الأنعام والأعراف والأنفال. : سامي الأسطل [28 وما بعدها].

و . علامة الرفع ثبوت النون، والنصب والجزم حذفها في الأفعال الخمسة.

ز . علامة الجزم حذف حرف العلة في الفعل المضارع المعتل الآخر.

3 . علامات الإعراب المقدّرة: والإعراب المقدّر هو الذي لا تظهر علامة الإعراب في آخر الكلمة، وذلك لتعدّد النطق بها، أو ثقلها على اللسان، سواء كانت أصلية أم فرعية.

رابعا . أهمية الإعراب⁽¹³⁾: يعتبر الإعراب تطبيق عملي لقواعد اللغة العربية، وهو وسيلة إيضاح للمتعلّم ليدرك بها تركيب الجمل، "لأنّ واضع اللغة حكيم يعلم أنّ الكلام عند التركيب لا بد أن يعرض فيه لبس، فحكيمته تقتضي أن يضع الإعراب مقرونا بالكلام"⁽¹⁴⁾.

فالإعراب في الكلام كالميزان الذي يضبط الوزن، فهو ميزان الكلام العربي، والذي يحدّد المعنى، فبدون الإعراب تختلط المعاني، ولا يفهم مقصودها.

وقد وضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو . إذ تمّ تأسيسه بعد نزول القرآن بسنين في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام [المشهور ببلاغته] حين كلّف أبا الأسود الدؤلي بتأسيسه على أرجح الأقوال . حين اضطرب كلام العرب، وضعفت السليقة العربية بدخول العجم الإسلام، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله والصحابة رضه الله عنهم والتابعين في تفضيل إعراب القرآن الكريم، والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته روايات كثيرة ومنها:

1 . ما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلا قرأ فلحن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرشدوا أخاكم"⁽¹⁵⁾.

2 . وقد ورد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "لأنّ أقرأ آية بإعراب أحب إليّ من أن أقرأ كذا وكذا آية بغير إعراب"⁽¹⁶⁾.

(13) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة التوبة ويونس وهود ويوسف . : أمجد أبو مطر [5/4]، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء . : هديل يوسف المنيراوي [19/18]، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية في سورة الأنعام والأعراف والأنفال . : سامي الأسطل [30]، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم . دراسة تطبيقية من سورة العنكبوت إلى سورة غافر . : إيمان محمد عامر [9].

(14) جمع الهوامع: السيوطي [62/1].

(15) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب سورة السجدة، رقم الحديث [3643]، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

3 . ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن" (17).

4 . ما روي عن نافع أنه قال: "كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن" (18).

5 . قال الإمام مكي بن أبي طالب في مقدمة مشكله: "ورأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، هو معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعينا على إحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله تبارك وتعالى به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد" (19).

6 . ويقول ابن فارس مبيناً أهمية الإعراب: "فأما الإعراب ففيه تتميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلًا لو قال: ما أحسن زيد . غير معرب . لم يوقف على مراده، فإن قال: ما أحسن زيدا، أو ما أحسن زيد، أوضح بالإعراب المعنى الذي أراده" (20).

7 . وقد أثر عن أبي الأسود الدؤلي قوله: "إني لأجد للحن غمرا كغمير اللحم، والغمر: رائحة اللحم إذا فسد" (21).

فيتضح مما سبق ذكره أهمية علم الإعراب، وعلاقتها باللغة العربية، ومدى حرص الصحابة رضي الله عنهم والتابعين على فهم اللغة العربية، وتجنب الوقوع في اللحن، حتى إنهم كانوا يعيرون صاحب اللحن، ويعتبرونه شاذاً.

خامساً . موقف العلماء من الإعراب بين الإثبات والإنكار (22):

(16) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضال القرآن، باب ما جاء في إعراب القرآن، رقم الحديث [7].

(17) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفرائض، باب ما قالوا في تعليم الفرائض، رقم الحديث [31035].

(18) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضال القرآن، باب ما جاء في إعراب القرآن، رقم الحديث [8].

(19) مشكل إعراب القرآن الكريم: مكي بن أبي طالب [1/1].

(20) الصاحبي: ابن فارس [47].

(21) إحياء النحو: إبراهيم مصطفى [9].

1. المنكرون للإعراب وأدلتهم:

أ. المنكرون للإعراب: لقد ذهب أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب من اللغويين القدامى كما نقل عنه ذلك الزجاج، ومن المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس، وفؤاد ترزي، والدكتور داود عبده، وقاسم أمين، وسلامة موسى إلى أنّ الحركات الإعرابية ليست ذات أثر، ولا دلالة على المعاني، وهذا ما جعل بعض المستشرقين الحاقدين يتخذون رأي قطرب خصوصاً والدكتور إبراهيم أنيس عموماً وغيره ذريعة للنيل من العربية، إذ الإعراب أهم خصائصها، ومن أولئك⁽²³⁾:

* [كارل فوللرز]، وذلك في كتابه [اللغة الشعبية واللغة الأدبية في الجزيرة العربية القديمة].

* [كوهين]، وهو مستشرق فرنسي، صاحب كتاب [لغات العالم].

* [باول كاله] حيث عقد في كتابه [الذخائر القاهرية] فصلاً عنوانه [نص القرآن العربي].

ب. أدلة المنكرين للإعراب: ومنها:

* إنَّ حركات الإعراب الثلاث إمَّا جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام، وأتت ليست ذات أثر ولا دلالة على المعاني.

وهناك عاملان تدخّلا في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين، وهما:

. إثثار بعض الحروف لحركة معيّنة كإثثار حروف الحلق للفتحة مثلاً.

(22) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم. دراسة تطبيقية في سورة الأنعام والأعراف والأنفال .: سامي الأسطل [32/31/30]. فقه

اللغة. مفهومه. موضوعاته. قضاياها: محمد بن إبراهيم الحمد [411 وما بعدها]، فقه اللغة: الدكتور وافي [161 وما بعدها]، فصول في فقه اللغة:

الدكتور رمضان عبد التّوّاب [338 وما بعدها]، مقالات في الأدب واللغة: الدكتور محمد حسين [87 وما بعدها]، فقه اللغة: الدكتور إميل

يعقوب [129 وما بعدها]، من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [250 – 253]، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم:

الدكتور أحمد سليمان ياقوت [35 وما بعدها]، الإعراب في العربية صوتياً ودلالياً بين القديم والحديث [مقاربة لسانية]: الدكتور سمير شريف

استيتية [51 وما بعدها]، دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية: الدكتور محمد حسن حسن

جبل، [209 وما بعدها]، أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه: هدى صالح ربيعي [11 وما بعدها].

(23) فقه اللغة. مفهومه. موضوعاته. قضاياها: محمد بن إبراهيم الحمد [415 وما بعدها]، فصول في فقه اللغة: الدكتور رمضان عبد

التّوّاب [333 وما بعدها].

. والميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، أو ما يسمّى بـ[المناسبة الصوتية] (24).

* واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب واختلاف المعاني، واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء، بأن قالوا: إنّما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنّه يذكر بعدها اسمان: أحدهما فاعل والآخر مفعول، ومعناهما مختلف، فوجب الفرق بينهما، ثم جعل سائر الكلام على ذلك (25).

. قال قطرب: "وإنّما أعربت العرب كلامها، لأنّ الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطؤون عند الإدراج، فلمّا وصلوا وأمکنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرّك وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو كلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحرّكة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطؤون، وفي كثرة الحروف المتحرّكة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان" (26).

. قال السيوطي بعد إيراده كلام قطرب: "وقال المخالفون له ردا عليه: لو كان كما ذكر لجاز جرّ الفاعل مرة، ورفع أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه لأنّ القصد في هذا إنّما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل بها الكلام، فأبي حركة أتى بها المتكلم أجزاءه فهو مخير في ذلك. وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب، وحكمة نظم في كلامهم" (27).

. وقال الدكتور رمضان عبد التّوّاب بعد إيراده كلام قطرب: "هذا هو رأي قطرب، وهو رأي لم يسبقه به أحد. فيما نعلم. ، ولم يتابعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين، فيما عدا أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه القيم [من أسرار اللغة]، ويظهر أنّه تأثر برأي قطرب هذا، إذ أشار إليه ناقلا إياه عن كتاب [إحياء النحو] لإبراهيم مصطفى" (28).

(24) من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [250 – 253].

(25) الأشباه والنظائر: السيوطي [80/79/1].

(26) الإيضاح في النحو: الزّجاجي [70]، الأشباه والنظائر: السيوطي [80/79/1].

(27) الأشباه والنظائر: السيوطي [80/79/1].

(28) فصول في فقه اللغة العربية: الدكتور إبراهيم عبد التّوّاب [329].

. ويقول الدكتور إبراهيم السامرائي عن رأي قطرب: "وهذا الرأي غريب في جملته، وقد انفرد فيه صاحبه، ولم يؤيده فيه إلا الدكتور إبراهيم أنيس بعد أحد عشر قرناً.

ووجه الخطل في هذا الرأي أنّ العربية كانت معربة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك، وقد كان هذا الإعراب سهلاً على الألسنة، ثم ثقل، وصعب حين فسدت الطبائع العربية، وفشا اللحن، وتحوّل المجتمع العربي الخالص إلى مجتمع ضخم، فيه أجناس شتى، ولا سيما الحواضر العربية"⁽²⁹⁾.

. وهكذا كما يقول الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد قد فتح قطرب باباً واسعاً لمن أراد التحامل على العربية، وإن لم يكن يقصد ذلك، فلقد وجد المستشرقون وأعداء الإسلام من هذه الفكرة منفذاً للطعن في العربية، ومحاولة إضعاف أثرها في نفوس أهلها⁽³⁰⁾.

* ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات، وإنّما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية.

وحاول أن يثبت نظاماً معيّناً للجملة العربية القديمة يلي فيها الفاعل الفعل ويسبق المفعول.

حيث يقول في قصة الإعراب تحت عنوان [موقف الفاعل من المفعول في الجملة العربية]: "نكتفي هنا ببيان قصير عن موضع الفاعل من الجملة، وموضع المفعول منها، كي نبرهن على أنّ الفاعل لا يعرف بضم آخره، ولا المفعول بنصب آخره، بل يعرف كل منهما في غالب الأحيان بمكانه من الجملة التي حدّده أساليب اللغة"⁽³¹⁾.

ثم ضرب أمثلة ليدلّل على أنّ العلامات الإعرابية لا معنى لها، ومن ذلك قوله: "ولا نكاد نعثر في القرآن الكريم على مفعول تقدّم فاعله دون أن نعرف للآية وجهاً آخر من القراءات إلا في بضع آيات فيها الفاعل كلمة [الموت] مثل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾⁽³²⁾.

(29) فقه اللغة المقارن: الدكتور إبراهيم السامرائي [121].

(30) فقه اللغة . مفهومه . موضوعاته . قضاياها: محمد بن إبراهيم الحمد [414 وما بعدها].

(31) من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [243].

(32) البقرة: 133

. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾⁽³³⁾.

. ﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾⁽³⁴⁾.

فما السر في مثل هذا يا ترى؟ . أَيْكون . والله أعلم . نفورا من التعجيل بذكر كلمة كريهة على النفس البشرية؟ أو أنه كانت هناك قراءات لم ترو لنا، أو لم نعثر عليها قرئت فيها كلمة الموت منصوبة ويكون المعنى حينئذ مشاهدة الموت معاينة علاماته وأماراته⁽³⁵⁾.

* ويرى أنّ النحاة حين اعتقدوا أنّ للحركات مدلولاً حرّكوا أواخر الكلمات التي لا داعي لتحريكها، لتطرّد قواعدهم الإعرابية، فقالوا مثلاً: [الشجر مورق]، يقول: "فما السر إذن في إصرار النحاة على تحريك الراء في كلمة الشجر بتلك الحركة الإعرابية المشهورة؟

في الحقّ أنّه لا ضرورة للحركة في مثل هذا الموقع، ولكن النحاة حين أرادوا اطراد قواعدهم الإعرابية توهموا أنّ هنا أيضاً حركة والتمسوا لها وجهاً من وجوه الإعراب"⁽³⁶⁾.

* وعندما يأتي إلى الإعراب بالحروف فإنّه يرجعه إلى اختلاف اللهجات، فيرى أنّ إحدى صورته تخص قبيلة معينة، والأخرى تخص قبائل أخرى.

فمثلاً بعض القبائل استخدمتها [مسلمون]، والأخرى [مسلمين]، وبعضها تقول [أبو]، والأخرى تقول [أبي]، والثالثة تقول [أبا].

فجاء النحاة زعماً منه، وجمعوا كل هذه الصور، وخصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة، وقد توصل إلى ذلك دون بيّنة وإتّما اعتماده على أنّ النحو مصنوع⁽³⁷⁾.

* وعندما تحدّث عن الإشارات التي تشير إلى وضع النحو، وتروي فرع العلماء من سماع اللحن في بعض الكلمات أو الآيات، ما جعل العلماء والخلفاء يسعون إلى وضع النحو، ادّعى أنّ الكتب

(33) الأنعام: 61

(34) المنافقون: 10

(35) من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [246/245].

(36) من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [156].

(37) من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس [270 - 274].

التي تكلمت عن هذه البدايات، وعن تلك الأخبار بأنّها مختلفة للطرفه، وإلا لا أساس لها من الصحة، وإنما أوتي بها لبيان أهمية النحو.

. ويمكن الرد عليه من وجهين: . إنَّ الادعاء بعدم ثبوت هذه الأخبار عار عن الصحة ويحتاج إلى إثبات، لأنّ نفيها تخميناً لا معنى له.

. هذا أمر خطير لأنّه يقتضي الطعن في بعض الأخبار الواردة عن الثقات، وبعض النحاة الذين منهم الأئمة والقراء كأبي عمرو بن العلاء وغيره.

والذي يتأمل كما قال الدكتور مُجَدِّد بن إبراهيم الحمد يلحظ أنّها عريضة تقوم على المجازفة، وتخلو من الدليل، وتصوّرها كاف في الرد عليها، وفساد معظمها يغني عن إفسادها.

ولهذا واجهت اعتراضاً كبيراً، ولم تلق قبولا لدى أي باحث من الباحثين، وممن انبرى للرد عليه الدكتور مهدي المخزومي⁽³⁸⁾، والدكتور مُجَدِّد بن إبراهيم⁽³⁹⁾⁽⁴⁰⁾.

2. المثبتون للإعراب وأدلتهم:

أ. المثبتون للإعراب: ذهب جمهور علماء اللغة القدامى والمحدثين كذلك ومنهم الدكتور عبد القادر مرعي خليل، والدكتور رمضان عبد التّوّاب، و الدكتور علي عبد الواحد وافي، والدكتور مُجَدِّد بن إبراهيم حسين، والدكتور إبراهيم السامرائي وغيرهم كثير إلى أنّ الحركة الإعرابية تنبئ عن المعاني النحوية؛ فالضمة علم الفاعلية، والفتحة علم المفعولية، والكسرة علم الإضافة...، وقد دافع الكثير من المستشرقين النزهاء الموضوعيين عن أصالة الإعراب في العربية، وفندوا الأقاويل التي ترى خلاف ذلك، ومن أبرزهم اثنان وهما⁽⁴¹⁾:

*[المستشرق نولدكه] و[المستشرق يوهان فك].

(38) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: الدكتور مهدي المخزومي [249 . 256].

(39) مقالات في اللغة والأدب: الدكتور مُجَدِّد بن إبراهيم حسين [87 . 93].

(40) فقه اللغة . مفهومه . موضوعاته . قضاياها: مُجَدِّد بن إبراهيم الحمد [430 وما بعدها].

(41) فقه اللغة . مفهومه . موضوعاته . قضاياها: مُجَدِّد بن إبراهيم الحمد [419 وما بعدها]، فصول في فقه اللغة: الدكتور رمضان عبد

التّوّاب [333 وما بعدها].

ب . أدلة المثبتين للإعراب ووجوده في اللغة العربية، وبطلان القول بإنكاره⁽⁴²⁾: ومن ذلك:

* نقل القرآن الكريم ووصوله إلينا متواترا بالرواية الشفوية جيلا عن جيل حتى عصرنا الحاضر، في كل ذلك كان معربا.

* الرسم القرآني الذي نقل إلينا بالتواتر يدل على وجود الإعراب في اللغة العربية، وإنه ليس من إخراج النحاة.

* إنَّ الشعر العربي بأوزانه، وبحوره ومجزؤه، ومشطوره، يدل على وجود الإعراب، ولا يقبل نظرية الدكتور إبراهيم أنيس

* الأخبار الكثيرة التي نقلت عن العرب، التي كان مضمونها إعاية اللحن، وحرصهم الشديد على استقامة اللسان على أصول الإعراب كما تقتضيه اللغة العربية.

ويرى جمهور علماء اللغة القدامى أنّ الحركة الإعرابية تنبئ عن المعاني النحوية؛ فالضمة علم الفاعلية، والفتحة علم المفعولية، والكسرة علم الإضافة...، ولذلك نجد الدكتور عبد القادر مرعي خليل يرفض رأي قطرب من القدامى [ولعله الوحيد الذي شدّ في هذا الرأي عن جمهور القدامى]، ورأي الدكتور إبراهيم أنيس من المحدثين [ومنهم كذلك فؤاد ترزي، والدكتور داود عبده]، ورأي قطرب أنّه ليس هناك أي معنى دلالي للحركات الإعرابية، وإنما هي أصوات تستخدم لوصل الكلام، فيرى أنّ العرب أعربت كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الدارج، فلمّا وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام، ويوافقه الدكتور أنيس، إذ يرى أنّ الحركة الإعرابية، إنّما جيء بها للتخلّص من الساكنين الذي هو آخر الكلمة فقط، وأنّها ليست دلائل على المعاني ما يظن النحاة، ويوافق

(42) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم - دراسة تطبيقية في سورة الأنعام والأعراف والأنفال - : سامي الأسطل [32/31/30]، فقه اللغة - مفهومه - موضوعاته - قضاياها: مجّد بن إبراهيم الحمد [433 وما بعدها]، فقه اللغة: الدكتور وافي [161 وما بعدها]، فصول في فقه اللغة: الدكتور رمضان عبد التّوّاب [338 وما بعدها]، مقالات في الأدب واللغة: الدكتور مجّد مجّد حسين [87 وما بعدها]، فقه اللغة: الدكتور إميل يعقوب [129 وما بعدها]، دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية: الدكتور مجّد حسن حسن جبل، 2000م، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، غربية، [7 وما بعدها].

الدكتور خليل الرأى الذي عليه جمهور علماء العربية القدامى، وهو أنّ الحركات الإعرابية دلائل على المعاني، وبها يميّز بين المعاني النحوية، ويعرض لرأى كل من الدكتور رمضان عبد التوّاب، ورأى المستشرق الألماني [بريجشستراسر]، فيرى عبد التوّاب: أنّ الحركات الإعرابية دوال على المعاني من الفاعلية والمفعولية وغيرها، ولم تكن حركات وصل فحسب، وعلّل ذلك بوجود الإعراب كاملا في اللغات السامية القديمة، وأنّ القرآن الكريم الذي وصل إلينا متواترا بالرواية الشفوية الموثوق بها، وصل إلينا معربا، وأنّ الرسم العثماني الذي نقل إلينا متواترا يؤيد الإعراب. وقد عاب العلماء القدامى في العصر الأول على من يجيد عن الإعراب ويلحن في القول.

ويرى المستشرق الألماني [بريجشستراسر] أنّ ظاهرة الإعراب ظاهرة سامية قديمة تشترك فيها العربية والآكادية وفي بعض الحبشية وقد ارتبطت بمعان تدل عليها.

ثم يخلص الدكتور عبد القادر مرعي الخليل إلى أنّ الحركات الإعرابية هي في الأصل عبارة عن أصوات تلحق الأصوات الصامتة فتحركها عن سكوتها، وأنّ هذه الأصوات تؤدي وظيفتين: وظيفة صوتية، ووظيفة نحوية.

* وجود الإعراب كاملا في بعض اللغات السامية: كالأكادية، وتشمل اللغتين البابلية والآشورية في عصورهما القديمة.

وقد أورد الدكتور رمضان عبد التوّاب في كتابه [فصول في فقه اللغة] نماذج لذلك.

* إنّ جميع لغات العالم تستخلص القواعد من اللغة؛ إذ القواعد لا توضع ولا تخترع.

* إنّ دقة القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقا على أنّها مخترعة اختراعا، فاليونانية واللاتينية مثلا في العصور القديمة، والألمانية في العصر الحاضر تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد العربية، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد، ولا في مراعاتها في الحديث، ولم يقل أحد أنّها من إنشاء علماء اللغة.

* إنّ هذه اللغة لو كانت مصنوعة مفروضة على الناس لما قبلوها، إذ لا يتصور أن يكون للنحاة هذه السطوة على الناس حتى يلزمهم بهذه اللغة التي اخترعوها كما يزعم الدكتور إبراهيم أنيس.

* إنّ الأمة لا يمكن أن تتواطأ على إخفاء شيء من الأخبار، ولو كان النحو مصنوعاً لوصلتنا الأخبار بذلك.

* تنبّه العلماء في الصدر الأول لحركات الإعراب، وإدراكهم مدلولها، وعيبيهم من يجيد عنها، فدل ذلك على وجود الإعراب في الكلام، وشعورهم به قبل أن يخرج النحاة بقواعدهم على الناس، ومن الأمثلة على ذلك:

. كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: [من أبو موسى] فكتب إليه عمر رضي الله عنه: "سلام عليك أما بعد: فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وأخر عطاءه سنة" (43).

. وقال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى [يا أبو سعيد]، فقال: "كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول: [يا أبا سعيد] (44)، ثم قال: "تعلموا الفقه للأديان والطب للأبدان والنحو للسان".

* النقوش العربية، فهي على قلتها تدل على أنّ الإعراب كان موجوداً عند العرب، حيث يظهر فيها التزام الإعراب.

* قضية السماع من العرب، فهذا من أعظم ما يؤكّد أنّ النحو ليس مصنوعاً.

ومن أعظم ما يمثل قضية السماع كتاب سيبويه، حيث يمثل صورة تفصيل النحو، فالقواعد عنده سماعية، ومن أمثلة ما جاء في كتابه:

. قال: هذا كله سمع من العرب (45).

. وقال: وسمعنا من العرب من يقول (46).

. وقال: وسمعت رجلاً من العرب ينشد هذا البيت (47).

(43) نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء: المرزباني [3].

(44) مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي [6]، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء: المرزباني [3].

(45) الكتاب: سيبويه [147/1].

(46) الكتاب: سيبويه [243/1].

(47) الكتاب: سيبويه [144/3].

وغيرها كثير، فعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطاً، وعقلاً... لا يعقل أن يتواطؤوا جميعاً على هذا الإفك المبين.

*ويقول الدكتور محمد محمد حسين في معرض حديث له عن دعاوى إبراهيم أنيس: "وإني لأتساءل: ثم إني أتساءل: ما الذي يهدف إليه المؤلف بدعاواه ومزاعمه؟ هل يريد إلغاء الإعراب جملة؟ وإذا تم له ذلك، فهل نسمي ذلك تجديداً أم هدماً؟ وهل نقرأ القرآن بعد ذلك بحركات الإعراب أم بدونها" (48).

*وقال الدكتور علي عبد الواحد وافي: "وإذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطؤوا جميعاً على اختلاق الإعراب فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هذا الاختراع العجيب.

ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة لقواعد لغتهم، ويحتدوها في كتاباتهم اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم، وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخهم، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاؤوا به من الإفك ممثل لفصيح هذه اللغة" (49).

سادساً. أثر اختلاف الإعراب في اختلاف الأحكام الشرعية العقدية والعملية والمعاني القرآنية⁽⁵⁰⁾: حيث يعين الإعراب على استنباط الأحكام الشرعية العقدية والعملية والمعاني القرآنية، إذ كثير من مسائل الاعتقاد، وقضايا الحلال والحرام، والمعاني القرآنية متوقفة عليه، وكتب التفسير وكتب أحكام القرآن زاخرة بتخريج الأحكام الشرعية على القواعد النحوية، وهي تختلف باختلاف الإعراب ومنها:

(48) مقالات في الأدب واللغة: الدكتور محمد محمد حسين [89].

(49) فقه اللغة: الدكتور علي عبد الواحد وافي [208].

(50) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم. دراسة تطبيقية من سورة العنكبوت إلى سورة غافر. : إيمان محمد عامر [10 وما بعدها]، العلاقة بين علم العقيدة وعلم فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة: الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد [13]، العدد [5]، رمضان [1441هـ/مايو 2021م] [3308 وما بعدها]، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم: الدكتور أحمد سليمان ياقوت [177 وما بعدها].

1 . ومن الأمثلة على أثر الإعراب في العقيدة كثيرة ومنها: ما ذكره الطوفي في كتابه [الصعقة

الغضبية] حيث عقد فصلا فيه ، قال فيه: "في بيان تأثيره في السنة] يعني تأثير الإعراب .

ثم ساق حديث محاجة آدم لموسى عليهما السلام، وفيه: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق، فحجّ آدم موسى" (51).

ثم علّق الطوفي على هذا الحديث بقوله: "الصواب . وهو الذي أجمع عليه الرواة . رفع آدم على أنّه فاعل حاجّ، ونصب موسى على أنّه مفعول محجوج .

ومعنى [حج آدم موسى]: فَلَحَّ عليه بالحجة، وقهره بالجدال" (52).

ثم أوضح أنّ الله تعالى تقدّم في سابق علمه إخراج آدم من الجنة، بسبب الأكل من الشجرة، وما علمه الله أن سيكون فهو كائن لا محالة .

ثم قال . وهو الشاهد . : "وهو أكبر دليل عقلي يحتج به لأهل السنة على إثبات القدر .

أما القدرية [قولهم في القدر: هو أنّ العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله وقدرته أثر في ذلك، وسموا بذلك كما يقول ابن قتيبة: لأنهم أضافوا القدر لأنفسهم، وغيرهم يجعله له تعالى دون نفسه] فإنّهم حرّفوا الرواية، فقالوا [فحجّ آدم موسى] بنصب [آدم] ورفع [موسى] على أنّه فاعل عكس الأول، وزعموا أنّ النبي ﷺ قال ذلك، وإثما الرواة حرّفوه" (53).

ثم علّق الطوفي على ذلك بقوله: "فانظر إلى هذا الأصل العظيم الذي أثر فيه علم العربية هذا التأثير" (54).

(51) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم الحديث [6240]، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث [4923].

(52) الصعقة الغضبية: الطوفي [357].

(53) الصعقة الغضبية: الطوفي [358].

(54) الصعقة الغضبية: الطوفي [359/358].

ثم شرع بعد ذلك في بيان تلك المسألة النحوية، ومنشأ النزاع فيها، وهو قول النحاة: إذا اجتمع في الكلام فاعل ومفعول فإمّا أن يكونا صحيحين، بحيث يظهر الإعراب فيهما أو معتلين، أو أحدهما صحيحا والآخر معتلا، وفصل الكلام في ذلك، وذكر أمثلة عليه.

ثم قرّر بعد ذلك نتيجة هذا الخلاف: "والحق إن شاء الله تعالى مع أهل السنة، وما ذهب إليه القدرية فاسد لوجوه، ثم ذكر ثلاثة أوجه على ذلك⁽⁵⁵⁾ .

2 . تردّد الرجلين بين الغسل والمسح في الوضوء: من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾⁽⁵⁶⁾، ففي قوله تعالى [أرجلكم] قراءتان متواترتان، قراءة النصب وقراءة الجر [الخفض].

فقراءة النصب معطوفة على الوجوه فيقتضي وجوب غسلهما كوجوب غسل الوجه.

أما قراءة الجر فتكون الأرجل معطوفة على الرؤوس، حيث يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين في الوضوء بدل الغسل كمسح الرأس، وهو خلاف الواقع للأحاديث الصحيحة الصريحة في وجوب غسل الرجلين في الوضوء.

فاختلف العلماء في توجيه قراءة الجر، فمنهم من قال بالجر للمجاورة فقط، ومنهم من قال المسح في الآية يحمل على الغسل لأنّ العرب تطلق المسح وتريد الغسل، ومنهم من قال إنّ الآية تشير إلى مشروعية المسح على الخفين كما هو ثابت في السنة النبوية الصحيحة وهو الأقوى.

فقراءة النصب دلّت على وجوب غسل الرجلين، وقراءة الجر أفادت حكما آخر وهو مشروعية المسح على الخفين.

3 . كلمة [حي] بين كونها منصوبة أو مجرورة: من قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۗ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾⁽⁵⁷⁾، فكلمة [حي] نعت [لشيء] وهي تابعة لها في إعرابها، وهذا يعني أنّ كل شيء حي يجب أن يدخل الماء في تركيبه العضوي، كائنا ما كان هذا الشيء.

(55) الصعقة الغضبية: الطوفي [361 – 370].

في حين أنّنا إذا اعتبرنا كلمة [حي] مفعول به ثانياً للفعل [جعلنا] فيصبح نص الآية [وجعلنا من الماء كل شيء حياً] ونكون قد وقعنا في الخطأ الفاحش، والمخالف لحقائق الطبيعة، والذي يقتضي حياة كل شيء يمتزج فيه الماء، كالتراب إذا مزجناه فيه وجعلناه طيناً، وكالطحين إذا عجنناه، وكالدواء الجاف إذا حللناه، وغيره ممّا لا يحصيه عدّ.